الفَصْلُ الخامِسُ

خُطَبٌ سياسيّةٌ زُبَيْريّةٌ

(١)
خُطَبٌ لعبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ

١ ـ خُطْبَةٌ لعبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ بمكَّةَ بعدَ مَقْتلِ الحُسَيْنِ بنِ عليٍّ

تاريخ الرسل والملوك ٥: ٤٧٤
وأنساب الأشراف ٤: ٢: ١٦
والكامل في التاريخ ٤: ٩٨

لـمَّا قُتِلَ الـحُسَيْنُ بنُ عليٍّ قَامَ عبـدُ اللهِ بـنُ الزُّبَـيْرِ في أهْـلِ مكَّـة خطيبـاً، فَعَظَّـمَ مَقْتَلَهُ، وعَابَ أهْلَ الكُوفةِ خاصـةً، ولامَ أهْـلَ العِـراق عامـةً، فقـالَ بعـدَ أنْ حَمِـدَ اللهَ وأثْنَى عليه، وصلَّى على محمدٍ ﷺ :

«إنَّ أهلَ العراقِ غُدُرٌ فُجُرٌ إلاَّ قليلاً . وإنَّ أهلَ الكوفةِ شِـرارُ أهـلِ العـراقِ. وإنَّهـم دَعَوا حُسيناً لِيَنْصُرُوه ويُوَلُّوه عليهم . فلما قَدِمَ عليهم ثاروا إليه[1]، فقالوا لـه : إمّـا أنْ تَضعَ يدَك في أيدِينا ، فنبعثَ بك إلى ابن زياد ابن سميَّة سلْماً، فيُمضيَ فيك حُكْمَه، وإمَّا أن تُحارب. فرأى واللهِ أنَّه هو وأصحابَهُ قليلٌ في كثيرٍ، وإنْ كانَ اللهُ عزَّ وجلَّ، لم يُطلعْ على الغيبِ أحداً أنَّه مقتولٌ، ولكنه اختارَ الميتةَ الكريمةَ على الحياةِ الذميمـةِ. فَرَحِـمَ اللهُ حسيناً، وأخزَى قاتلَ حسين! لَعَمري لقد كانَ من خِلافِهم إيَّـاه وعصيـانِهم مـا كـان في مِثْلِهِ واعظٌ وناهٍ عنهم، ولكنَّه ما حُـمَّ[2] نـازلٌ[3]، وإذا أرادَ اللهُ أمـراً لـن يُدْفَـع. أفبعـدَ الحسين نَطْمئنُّ إلى هؤلاءِ القومِ، ونُصَدِّقُ قولَهم، ونَقْبَل لهم عَهْداً! لا ، ولا نَراهُمْ لذلك أهلاً. أما واللهِ لقد قَتَلُوه طويلاً بالليلِ قيامُهُ ، كثيراً في النهارِ صِيَامُهُ، أحـقَّ بما هـم فيـه منهم، وأوْلَى به في الدِّينِ والفَضْل. أَمَا واللهِ ما كانَ يُبـدِّلُ بـالقرآن الغنـاءَ، ولا بالبكـاءِ

(١) ثار إليه : وثَبَ إليه.
(٢) حُمَّ : قُدِّرَ وقُضِيَ.
(٣) نازلٌ : واقعٌ.

من خَشْيةِ ا للهِ الحُداءَ[١]، ولا بالصيّامِ شُرْبَ الحَرامِ[٢]، ولا بالمجالسِ في حِلَقِ[٣] الذِكرِ[٤] الرَّكْضَ في تَطْلابِ الصَّيدِ[٥]، ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ[٦] غَيًّا﴾[مريم: ٥٩] !

٢ ـ خُطْبَةٌ لعبدِ ا للهِ بنِ الزُّبَيْر بمكَّةَ بعدَ مَقْتَلِ الضَّحَّاكِ بنِ قَيْسٍ الفِهْرِيِّ

البيان والتبيين ١: ٢٩١

واللسان : صحح

لـمَّا جاءَ عبدَ ا للهِ بنَ الزُّبَيْر ، وهو بمكَّةَ، قَتْلُ مَرْوَانَ بنِ الحكمِ الضَّحَّاكَ بنَ قيسٍ بِمَـرْجِ رَاهطٍ، قامَ خطيباً، فقالَ :

«إنَّ ثَعْلَبَ بنَ ثَعْلَبَ حَفَرَ بالصَّحْصَحةِ فَأخْطَأَتْ اسْتُهُ الـحُفْرةَ[٧]. وَالْهَفَ[٨] أمٌّ لم تَلِدْني على رَجُلٍ محاربٍ كانَ يَرْعى في جَبَـلِ مكةَ ، فيأتي بالشُّـرْبةِ مـن اللَّـبنِ فَيَبيعُها بالقَبْضَةِ من الدَّقيقِ، فيرَى سِداداً[٩] من عَيْشٍ ، ثم أنْشأ يَطْلُبُ الخلافةَ[١٠]» !

---

(١) حَدَا بالإبل حُدَاءً: غَنّى لها.

(٢) شرب الحرام : أي: الخمر المُحَرَّمة .

(٣) الحِلَقُ : جمع حَلْقةٍ، وهي الجماعةُ من النّاس مُسْتَديرُون .

(٤) الذِكْرُ : تمجيدُ ا للهِ وتَقْديسُه وتَسْبيحُهُ وتَهْليلُهُ والثناءُ عليه بجميع مَحَامِده .

(٥) يُعَرِّضُ بيزيدَ بن معاوية .

(٦) يَلْقَونَ غَيّاً : الغَيُّ : الشَّرُّ والخُسرَانُ ، وكلُّ شرٍّ عندَ العربِ غيٌّ .

(٧) في المَثَل : (أخْطأتْ استُهُ الحُفْرَةَ). يُضْرَبُ لمن رَامَ شيئاً فلَم يَنَلْهُ . (مجمع الأمثال ١: ٤٣٤) .

وقال ابن منظور : الصَّحْصَحُ والصَّحْصَحةُ والصَّحصَحانُ: الأرْضُ المُسْتويةُ الواسعةُ، ومنه حديثُ ابنِ الزبير لـمَّا أتاه قَتْلُ الضَّحَّاك قال : (إنَّ ثَعْلَبَ بنَ ثَعْلَبَ حَفَرَ بالصَّحْصَحةِ ، فأخطأتْ استُهُ الحُفْرَةَ). وهذا مثل للعربِ تَضْرِبُهُ فيمن لم يُصِبْ مَوْضعَ حاجَتِهِ. يَعْنِي أنَّ الضَّحاكَ طلبَ الإمارة والتَّقدُّمَ ، فلم يَنَلْها. (اللسان : صحح) .

وقال الجاحظ : (أوّل هذا الكلام مُسْتَكْرَهٌ !! وهو موجودٌ في كلِّ كتاب، وجارٍ على لِسان كلِّ صاحبِ خَبَرٍ. وقد سمعتُ لابنِ الزُّبير كلاماً كثيراً ليس هذا في سبيله، ولا يَتَعلَّقُ به). (البيان والتبيين ١: ٢٩٢) .

(٨) وَالهفَ فلان : كلمةٌ يُتَحسَّرُ بها على ما فات .

(٩) السِّدَادُ : ما يُسَدُّ به . وقالوا : سِدادٌ من عَوَزٍ، وسِدادٌ من عَيْشٍ أي: ما تُسَدُّ به الحاجةُ. وهو على المَثَلِ.

(١٠) يُعَرِّضُ بمروانَ بنِ الحكَم : أي يَعِيبُه ويَنْقُصُهُ .

٣ ـ خُطْبَةٌ لعبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْر بمكَّةَ بعدَ مَقْتلِ عمرِو بنِ سعيدٍ الأشْدَقِ بدمشقَ

البيان والتبيين ٢: ٧٥
وأنساب الأشراف ٧: ٢٠٤
والاشتقاق ص: ٧٩
والكامل في التاريخ ٤: ٣٠٣
وفوات الوفيات ٢: ١٦١

لـمَّا بلغَ عبدَ اللهِ بنَ الزُّبَيْر قَتْلُ عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوانَ عمرَو بنَ سَعيدٍ الأشْدَقَ قامَ خَطيباً ، فقال :

«إنَّ أبَا الذُّبَّانِ[1] قَتَلَ لَطِيمَ الشَّيْطَانِ[2]، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]».

---

(١) قالَ ابنُ قتيبة : (كان يقالُ لعبدِ الملك بنِ مَرْوانَ أبو الذّبان لشدةِ بَخَرِه ، يريدون أنَّ الذباب يَسْقُط إذا قارب فاهُ من شدةِ رائحته). (عيون الأخبار٤: ٦١ ، وانظر فوات الوفيات ٢: ٤٠٣، والبداية والنهاية في التاريخ ٩: ٦٢).

وقال البلاذري : (كان عبد الملك يُلَقَّبُ رَشْحَ الحَجرِ لبُخْلِهِ وأبا الذُّبَّانِ لِنَتَنِ فَمِهِ وفسادِ عُمُورِ أسنانِه، واجتماعِ الذبَّان عليها وعلى شَفَتَيْهِ). (أنساب الأشراف ٧: ١٩٤).

(والعربُ تُسَمِّي الأبْخَرَ أبا الذبَّان ، فلذلك قيل لعبدِ الملك أبو الذُّبَّان). (أنساب الأشراف ٧: ١٩٤، وانظر لسان العرب ذَبَبَ) .

(٢) قال الجاحظ : «عمرو بن سعيد، وهو الأشدق، يقال : إنَّ ذلك إنَّما قيل له لِتَشَادُقِهِ في الكلام، «أي: فصاحةِ لِسَانِهِ وحُسْنِ بيانه» . وقال آخرون : بل كان أفقمَ مائلَ الذَّقْنِ، ولذلك قال عبيدُ الله بن زيادٍ حينَ أهْوى إلى عبد الله بن معَاوية : «يَدَكَ عنه يا لَطِيمَ الشَّيطان، ويا عَاصِيَ الرحمن»! (البيان والتبيين ١: ٢٥٢، وانظر فوات الوفيات ٣: ٣٨٤).

وقال الجاحظ : قال الشاعرُ في عمرِو بنِ سَعِيدٍ الأشْدَقِ :

تَشَادَقَ حَتَّى مالَ بالقَوْلِ شِدْقُه ... وكلُّ خطيبٍ لا أبَا لكَ أشْدَقُ

وأنشدَ أبو عبيدة:

وصُلْعُ الرُّؤوسِ عِظامُ البُطونِ ... رِحَابُ الشِّداقِ طِوالُ القَصَرْ

(القصر : الأعْناق) .

وتكلَّم يوماً عند مُعاويةَ الخطباءُ ، فَأحْسَنُوا، فقال :

واللهِ لأُرْمِيَنَّهم بالخطيب الأشْدَقِ! قُمْ يا يزيدُ ، فتكلَّمْ . وهذا القَوْلُ وغيرُهُ من الأخبارِ والأشعارِ حُجَّة لمن زَعَمَ أنَّ عمرَو بنَ سَعيدٍ لم يُسَمَّ الأشْدَقَ لِلفَقَمِ ولا لِلْقُوَة).

(الفَقَمُ : أن تَدْخُلَ الأسنان العليا إلى الفم فلا تقع على السُّفلى. واللقوة : داء يكون في الوجه يَعْوَجُّ منه الشدق). (البيان والتبيين ١: ١١٤) .

٤ ـ خُطْبَةٌ لعبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ بمكَّةَ في وَفْدِ أهْلِ العِرَاقِ

أمالي القالي ١: ٢٨٣
وشرح نهج البلاغة ٢٠: ١٣٧

قَدِمَ وَفْدٌ من أهْلِ العِراقِ على عبدِ اللهِ بنِ الزُّبيرِ، وهو في المسجدِ الحَرامِ، فَسَلَّموا عليه، فسألهم عن مُصْعَبٍ أخيه، فقالوا : أحسنُ النَّاسِ سيرةً، وأقْضَاهُ بِحَقٍّ ، وأعْدَلُهُ في حكمٍ. فلمَّا صَلَّى الجمعةَ صَعِدَ المِنْبَرَ، فحَمد اللهَ وأثنى عليه، ثمَّ قال :

قد جَرَّبُوني ثم جَرَّبُوني ... من غَلْوَتَيْنِ ومن المِئِين[1]
حتى إذا شابُوا وشَيَّبُوني ... خَلَّوْا[2] عِنَاني ثم سَيَّبُوني[3]

أيها الناسُ ، إني سألتُ الوفدَ عن مصعبٍ ، فأحسنوا الثناء عليه، وذَكَرُوا ما أُحِبُّه. وإنَّ مُصْعَباً أطْبَى[4] القلوبَ حتى ما تَعْدلُ به، والأهواءَ حتى ما تَحُولُ عنه، واستمالَ الألسنَ بِثنائها، والقلوبَ بنُصْحِها، والنفوسَ بمحبَّتها. فهو المحبوبُ في خاصَّته، المحمودُ في عامَّتِه، بما أطلقَ اللهُ به لِسَانَهُ من الخَيْرِ، وبَسَطَ يَدَهُ من البَذْلِ».

٥ ـ خُطْبَةٌ لعبدِ اللهِ بنِ الزُّبَيْرِ بمكَّةَ بعدَ مَقْتَلِ أخيهِ مُصْعَبٍ

أنساب الأشراف ٥: ٣٤٧
وعيون الأخبار ٢: ٤١
وتاريخ الرسل والملوك ٦: ١٦٦
والعقد ١: ١٠١، ٤: ١٠٩
ومروج الذهب ٣: ١١٩
والكامل في التاريخ ٤: ٣٣٥
وشرح نهج البلاغة ٢٠: ١٣٧

لـمَّا أتَى عبدَ اللهِ بنَ الزُّبَيْرِ مَقْتَلُ مُصْعَبٍ قامَ خطيباً ، فقال :

«الحمدُ للهِ الذي له الخَلْقُ والأمْرُ، وَمِلكُ الدُّنيا والآخرةِ ، يُؤْتِي الـمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ،

---

(١) الغَلْوَة : قَدْرُ رَمْيَةِ سَهْمٍ .
(٢) خَلاَّهُ وخَلَّى عنه : أرْسَلَهُ . وخَلَّى سَبِيلَهُ : تَرَكَهُ .
(٣) سَيَّبَهُ : تركهُ .
(٤) أطْبَى : اسْتَمالَ واسْتَهْوَى .

وَيَنْزِعُ الـمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ، ويُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، ويُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ، بِيَـدِهِ الخَيْرُ وهو عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ. أَلا وإنَّه لم يُذِلَّ امرَءاً كان معه الحَقُّ، وإنْ كان فَرْداً، ولم يُعِزَّ أحداً من أولياءِ الباطلِ، ولـو كانَ الناسُ معه طُرّاً[١]. إنَّه أتانا خبرٌ مـن العـراق حَزَنَنـا[٢] وأفْرَحنـا، وسـاءنا وسَرَّنا، أتانـا قَتْـلُ مُصْعَـبِ بـنِ الزُّبَـيرِ، رَحِمَهُ ا لله. فأمّـا الـذي حَزَّنـا مـن ذلـك فـإنَّ لِفِـراقِ الحَمِيـمِ[٣] لَوْعَـةً[٤] يَجِدُها[٥] حميمُهُ عند الـمُصيبة، ثم يَرْعَوِي[٦] بعـدُ ذو الـرَّأْيِ والدِّينِ والحِجى[٧] والنُّهى[٨] إلى جميلِ الصَّبْرِ وكريمِ العَزاءِ[٩]. وأمّا الذي سَرَّنا من ذلك فإنّا قـد عَلِمْنـا أنّ قَتْلَه شَـهادةٌ، وأنَّ ا للهَ جاعلٌ ذلك لنا وله خِيرةً[١٠]. إنَّ أهْلَ العراقِ أهْلُ الغَـدْرِ والنِّفـاقِ[١١] أَسْـلَمُوهُ، وبـاعُوه بـأقلِّ ثَمنٍ وأخسِّـه[١٢]، فقُتِـل. وإن قُتِـلَ فمَـهْ![١٣] قـد قُتِـلَ أبـوه وعمُّـه، وهمـا مـن الخيـار الصَّالحينَ. إنَّا وا لله ما نموتُ حَبَجاً[١٤]، ما نمـوتُ إلاَّ قتـلاً قعصـاً[١٥]بـأطرافِ[١٦] الأسِـنَّةِ[١٧]

---

(١) طُرّاً : أي: جميعاً، مَنصُوبٌ على الـمَصْدَرِ أو الحال .

(٢) حَزَنه الأمرُ : أوْقَعَهُ في الحُزْن، وهي لغةُ قريشٍ، وأحْزَنَه لغة تميمٍ . وقد قُرِئَ بهما .

(٣) الحميم : القريبُ الذي تَوَدُّه ويَوَدُّك .

(٤) اللوعة : حُرْقَةُ الحُزن.

(٥) وَجَدَ الرَّجُل في الحُزْن : حَزِنَ .

(٦) ارْعَوى : كفَّ ونَزَع وانْصَرَفَ ورَجَع .

(٧) الحِجَا : العَقْلُ والفِطْنَةُ .

(٨) النُّهَى : جمعُ نُهْيَةٍ ، وهي العَقْلُ واللبُّ .

(٩) العزاء : الصَّبْرُ على الـمَصَائب .

(١٠) الخِيرَة : الاسم من قولك: خارَ ا للهُ لك في هذا الأمر، أي أعطاك ماهو خيرٌ لك .

(١١) النِّفاق : الرِّياء ، وهو أنْ يُظْهِر الرجلُ غيرَ ما يُبْطِنُ .

(١٢) أخسُّ : أبْخَسُ وأرْذَلُ وأتْفَهُ .

(١٣) مَهْ : كلمة بنيت على السكون، وهي اسم سُمِّيَ به الفعلُ معناه اكْفُفْ، لأنه زَجْرٌ، فإن وَصَلتَ نَوَّنْتَ قلتَ مَهٍ مهْ .

(١٤) الحَبَجُ : أنْ يأكلَ البَعير لِحَاءَ العَرْفَج، فَيَسْمَنُ عليه، وربما تَشِمَ منه فَقَتَلَه. يُعَرِّضُ ببـني مـروان لكثرةِ أكلهـم وإسرافهم في مَلاَذِّ الدنيا، وأنهم يَمُوتون بالتُّخمَةِ .

(١٥) يقال : مات فلانٌ قَعْصاً : إذا أصابَتْهُ ضَرْبَةٌ أو رَمْيَةٌ فمات مكانه. وضَرَبه فأقعَصَهُ، أي قَتَلَهُ مكانَهُ .

(١٦) الأطْرَافُ : جمعُ طَرَفٍ ، وهو حَدُّ الرُّمْح .

(١٧) الأسِنَّة : جمع سِنان، وهو حَدِيدةُ الرُّمْحِ لِصَقَالَتِها وملاستها .

وظُباة[١] السيوف، ليس كما يموتُ بنو مروانَ في حِجَالهم[٢]، فوالله ما قُتِلَ منهم رجلٌ قطُّ في جاهليّةٍ ولا إسلامٍ! ولئن ابتُليتُ بالمصيبة بمصعبٍ لقد ابتُليتُ قبله بالمصيبةِ بإمامي عثمانَ بنِ عفّانَ. ألا وإنّما الدنيا عاريّةٌ[٣] من المَلِكِ الجبّار الذي لا يَزُول مُلكُه ولا يَبِيدُ[٤] سلطانُهُ، فإنْ تُقْبِلْ عَليَّ[٥] لا آخُذْها أَخْذَ الأشِرِ[٦] البَطِرِ[٧]، وإنْ تُدْبِرْ عَنّي[٨] لا أبْكِ عليها بكاءَ الخَرِفِ[٩] المُهْتَرِ[١٠]».

٦ ـ خُطْبَةٌ لعبدِ اللهِ بنِ الزُّبير بمكّةَ بعدَ مَقْتَلِ أَخيهِ مُصْعَبٍ

البيان والتبيين ٢:٧٥

لمّا جاءَ عبدَ اللهِ بنَ الزُّبير قَتْلُ أخيهِ مُصْعَبِ بنِ الزُّبير قام خطيباً بعدَ خُطْبَتِه الأولى، فقال:

«إنَّ مُصْعَباً قَدَّمَ أَيْرَهُ، وأخَّرَ خَيْرَهُ، وتَشاغَلَ بنكاحِ فلانةٍ وفلانةٍ، وتَرَكَ حَلْبَةَ[١١] أهلِ الشامِ، حتّى غَشِيَتْهُ[١٢] في دارِهِ، ولئن هَلَكَ مُصْعَبٌ إنَّ في آلِ الزُّبير خَلَفاً منه[١٣]».

---

(١) الظُّبات : جمع ظُبَةٍ، وهي طَرَفُ السَّيْفِ وحَدُّهُ وشَفْرَتُهُ .

(٢) الحِجَال : جمع حَجَلَةٍ ، وهي بيتٌ كالقُبَّةِ يُسْتَرُ بالثِّياب، ويَكُونُ له أزْرَارٌ كبارٌ.

(٣) العَارِيَّة بتشديد الياء : مَنْسوبةٌ إلى العَارَة، وهي اسمٌ من الاستعارة، تقول: أعَرْتُهُ الشيءَ أُعيرُهُ إعارةً وعَارةً كما تقول: أطَعْتُهُ إطاعةً وطاعةً، وأجَبْتُهُ إجابةً وجَابةً .

(٤) يبيد : يَفْنى .

(٥) أقْبَلَتْ عليه الدُّنيا : كناية عن الخَيْرِ والنِّعْمة .

(٦) الأَشِر : المَرِحُ المُخْتَالُ المُتَباهي .

(٧) البَطِرُ : المُتَبَخْتِرُ المتكبِّر المُعْجَبُ بنفسه .

(٨) أدْبَرَت عنه الدنيا : ذهبتْ وَوَلَّتْ. والمراد صار الأمرُ لِغَيرِه، فاضْطَرَبتْ حالُه واختَلّتْ.

(٩) خَرِفَ الرَّجُل فهو خَرِفٌ : فَسَدَ عَقْلُهُ من الكِبَر.

(١٠) أُهْتِرَ الرجلُ فهو مُهْتَرٌ : فَقَدَ عَقْلَهُ من الكبرِ أو المرضِ أو الحُزْنِ .

(١١) الحلبة: الخَيْلُ التي تأتي من كلِّ أوْبٍ.

(١٢) غَشِيَتْهُ الخَيْلُ: دَهَمَتْهُ.

(١٣) الخَلَفُ: العِوَضُ والبَدَلُ.

(٢) خُطْبَتانِ لِمُصْعَبِ بنِ الزُّبير

١ ـ خُطْبَةٌ لِمُصْعَبِ بنِ الزُّبير بالمَدينةِ

أنساب الأشراف ٦:٢٩٤

كانَ مَرْوَانُ بنُ الحَكَمِ وَجَّهَ حُبَيْشَ بنَ دُلْجَةَ القَيْنيَّ في جيشٍ من أهْلِ فلسطينَ لمحاربة عبدِ اللهِ بنِ الزُّبير، فهزمَ أحَدَ قادَتِه من أهْلِ مكّـةَ، ودَخَـلَ المدينـةَ. ثـم إنَّ الـحَتَّفَ بـنَ السِّجْفِ التميميَّ جاء في جَيْشٍ من أهْلِ البصرة مدداً لعبد اللهِ بنَ الزُّبير، فَلقِيَهُ حُبَيْشٌ بالرَّبذةِ من قُـرَى المدينة، فاقْتَتَل البَصْرِيُّون والشَّاميُّون ساعةً، فَقُتِلَ حُبَيْشٌ، وانْهَزَمَ الشَّاميُّون فَقُتِلـوا قتـلاً ذريعـاً، وأُسِرَ منهم خمسمئةٍ، فَحُمِلُوا إلى المدينةِ. وبعثَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبير أخاهُ مُصْعَباً لِقَتْلِ الأسْـرَى، فَقَتَلَهُم، ثم خَطَبَ بالمدينةِ، فَقَالَ:

«يأهْلَ المدينةِ، احْمَدُوا اللهَ على ما أبلاكُم[١] وأوْلاكُم[٢] من نَفْيِ عَدُوِّكم عن ساحةِ بلادكم. واتَّقوا اللهَ، واسمَعُـوا وأطِيعُوا، فقـد غَضِبْنَـا لما انْـتُهِكَ[٣] من حُرْمَتِكـم[٤]، حتى أقَادَكُم[٥] اللهُ من عَدُوِّكم. فأعِينُوا رَحِمَكُم اللهُ ولاتَكم، ولْيَبْلُغْ أميرَ المؤمنينَ أصْلَحَهُ اللهُ، مايُحبُّ عنكم» .

٢ـ خُطْبَةٌ لِمُصْعَبِ بنِ الزُّبير بالبَصرةِ

البيان و التبيين ٢:٢٣٩
وتاريخ الرسل والملوك ٦:٩٣
والعقد ٤:١٣٥
والكامل في التاريخ ٤:٢٦٧

عَزَلَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبير الحَارِثَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ أبي رَبيعةَ المخزوميَّ عـن البَصْـرَةِ، واسْتَعْمَل عليها أخاه مصعباً. فلمّا قَدِمهَا دَخَلَ المسجدَ، فَصِعدَ المِنْبَرَ، فحمدَ اللهَ وأثْنـى

(١) أبْلاهُ اللهُ بلاءً حسناً: صَنَع به صُنْعاً جميلاً، أو صنع به خيراً.
(٢) أوْلاهُ: أنعم عليه، أو أسْدَى إليه معروفاً، أو مَلَكَهُ المَعْرُوفَ، أو عَضَدَهُ به ونَصَرَهُ وقَوَّاه.
(٣) انتهك الحرمة: تَنَاوَلَها بمالا يَحِلُّ.
(٤) الحرمة: مالا يحل لك انتهاكه.
(٥) أقَادَهُ من عَدُوِّه: اقْتَصَّ له منه، أوْ قَتَلَهُ به.

عليه، ثمَّ قال:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ طسم ۝٢ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٣ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٤ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝٥﴾ [القصص: ١، ٢، ٣، ٤]، **وأشار بيده نحو الشام**[١]. ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥]، **وأشار بيده نحو الحجاز**[٢]. ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ [القصص: ٦]، **وأشار بيده نحو العراق**[٣].

---

(١) يريد عبدَ الملكِ بنَ مروان وبني أميَّة.

(٢) يريد أخاه عبدَ الله بنَ الزُّبير ومَنْ مَعه.

(٣) يريد المختار بن أبي عُبَيْد الثَّقفيَّ وشيعته.

(٣) خُطْبَتان لعبدِ اللهِ بنِ يَزِيدَ الخَطْمِيِّ

١ـ خُطْبَةٌ لعبدِ اللهِ بنِ يَزِيدَ الخَطْمِيِّ بالكُوفةِ

تاريخ الرسل والملوك٥:٥٦١
وأنساب الأشراف ٥:٢٠٧
والكامل في التاريخ ٤:١٦٣

قَدِمَ عبدُ اللهِ بنُ يَزِيدَ الخَطْمِيُّ الكُوفةَ والياً عليها من قِبلِ عبدِ اللهِ بنِ الزُّبير، فَبَلَغَهُ أنَّ سُليمانَ بنَ صُرَدَ الخزاعيَّ وأصْحَابه يُريدُونَ أنْ يَثِبُوا بالكوفة، فخرَج حتى صَعِدَ الْمِنبَرَ، ثُمَّ قامَ في النَّاسِ، فحمدَ اللهَ وأثْنى عليه،ثم قال:

«أمَّا بعدُ، فقد بَلَغني أنَّ طائفةً من أهلِ هذا المصْرِ أرادُوا أنْ يَخْرُجوا علينا، فسألتُ عن الذي دَعاهم إلى ذلكَ ماهو ؟ فَقيلَ لي: زَعَمُوا أنَّهم يَطلُبونَ بدمِ الحسين بن عليٍّ. فَرَحِمَ اللهُ هؤلاء القومَ. قد وا للهِ ذُلِلتُ على أماكِنِهم،وأمرت بأخذِهم. وقيل: ابْدَأهم قبلَ أنْ يَبْدؤوك. فأبيتُ ذلك. فقلتُ: إنْ قَاتَلوني قاتلتُهم، وإنْ تَركُوني لم أطْلُبْهُمْ، وعلامَ يُقَاتلونني! فوا للهِ ماأنا قتلتُ حسيناً، ولاأنا ممن قاتَلَه، ولقد أُصِبْتُ بمَقْتلِهِ رحمةُ اللهِ عليه! فإنَّ هؤلاء القوم آمنُونَ، فليخرجُوا ولْيَنْتشروا ظاهرينَ ليسيروا إلى مَن قَاتَل الحسينَ، فقد أقبلَ إليهم، وأنا لَهم على قاتِلِهِ ظهير[١]. هذا ابنُ زيادٍ قاتلُ الحسين، وقَاتلُ خيارِكم[٢] وأماثِلِكم[٣]، قد توجّهَ إليكم، عَهْدُ[٤] العاهدِ على مسيرة ليلةٍ من جسرِ مَنْبج[٥]. فقتالُه والاستعدادُ له أولى وأرشدُ من أن تَجْعَلوا بأسَكُم[٦] بينكم، فيقتلَ بعضُكم بعضاً، ويَسْفِكَ[٧]بعضُكم دماءَ بعضٍ. فَيَلْقَاكُمْ ذلك العدوُّ غداً وقد رَقَقْتم[٨]، وتلك وا للهِ أمنيَّةُ

---

(١) الظهير: المُعينُ والنّصير.

(٢) الخيارُ والأخيار: جمع خَيْر وخيِّر، وهو الفَاضل.

(٣) الأماثِلُ: جمع أمثل، وهو الأفْضَلُ، يقال: هم أماثِلُ النّاس، أي خيارهم.

(٤) عَهِدَ الشيء: عَرَفَهُ.ومن العَهدِ أنْ تَعْهَدَ الرجُلَ على حالٍ، أو في مكانٍ، يقال: عَهِدْتُه به في مَوْضع كذا، وفي حال كذا، وعَهِدْتُهُ بمكان كذا: أي: لقيته.

(٥) مَنْبج: مدينة كبيرة واسعةٌ، ذات خَيْراتٍ كثيرة، وأرزاقٍ واسعةٍ، في فضاء من الأرض، بينها وبين الفُراتِ ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ.

(٦) البأس: الشِّدَّة في الحرب.

(٧) سَفَكَ دَمَه: أراقَهُ وأجْرَاهُ، أي قَتَلَهُ.

(٨) رَقَّ: ضَعُفَ وَوَهَن.

عدوّكم. وإنه قد أقبلَ إليكم أعْدَى خلقِ الله لكم، مَن وُلّي عليكم هو وأبوه سبعَ سنينَ، لايُقلِعان[١] عن قتلِ أهلِ العَفافِ[٢] والدِّين. هو الذي قَتلَكُمْ، ومِن قِبَلِه أُتيتُم[٣]، والذي قَتلَ مَنْ تثأرونَ بدمِه، قد جاءكم فاستقبلوهُ بَحَدِّكُم[٤] وشَوْكَتكم[٥]، واجعلوها به، ولاتجعلوها بأنفسكم. إني لكم آلُكم[٦] نُصْحاً. جمع الله لنا كلمتَنا، وأصلحَ لنا أئمَّتنا».

٢ ـ خُطْبَةٌ لعبدِ اللهِ بنِ يَزيدَ الخَطْمِيِّ بالكُوفةِ حين أجْمَعَ سليمانُ بن صُرَدَ الخُزاعيُّ على المسيرِ إلى الشَّامِ

تاريخ الرسل والملوك ٥:٥٨٧
والكامل في التاريخ ٤:١٧٧

بَلَغَ عبدَ اللهِ بنَ يزيدَ الخَطْميَّ أنَّ سليمانَ بنَ صُرَدَ الخُزَاعيَّ وأصْحَابَهُ من التَّوَّابينَ قد تأهَّبُوا للخُرُوجِ إلى الشَّامِ لِقِتالِ عُبَيْدِ اللهِ بنِ زيادٍ. فرأى أن يأتِيَهُ، ويَعْرِضَ عليه الإقامة، وأن تكونَ أيْدِيهم واحدةً. فلمَّا انْتَهى عبدُ اللهِ بنُ يزيدَ إلى سليمانَ بنِ صُرَدَ دخَل عليه، فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال:

«إنَّ المسلِمَ أخو المسلمِ لايَخُونهُ، ولايغشُّهُ. وأنتم إخوانُنا، وأهلُ بَلدِنا، وأحبُّ أهلَ مِصْرٍ خلَقَهُ الله إلينا. فلا تَفْجَعُونا[٧] بأنفسكم، ولا تَستَبِدُّوا[٨] علينا برأيكم، ولاتَنْقُصُوا عدَدنا بخُروجِكم من جَماعتنا. أقيمُوا معنا حتَّى نَتيسَّرَ ونتهيَّأَ، فإذا عَلِمْنَا أنَّ عَدُوَّنا قد شارفَ بلدَنا خَرجْنا إليهم بِجَماعَتِنا فقاتَلناهم».

---

(١) أقلع فُلانٌ عما كان عليه: كَفَّ عنه وتركه.
(٢) العفاف: الكَفُّ عن المحارم والأطماع الدَّنِيَّة.
(٣) أُتيَ من قِبَله: أي أُخِذَ وأُصيبَ.
(٤) الحَدُّ: البأسُ والنَّفاذُ في النَّجْدة.
(٥) الشَّوكَةُ: شدَّة البأس والقِتال والكِفَاح، وحِدَّةُ السلاح.
(٦) لاآلُوكَ نُصْحاً: أي لاأَفْتُرُ ولا أُقَصِّرُ في نُصْحِك.
(٧) فَجَعَهُ: أوْجَعَهُ.
(٨) اسْتَبَدَّ بالأمر: انْفَرَد به دون غيره.

(٤)

١ ـ خُطْبَةٌ لعبدِ اللهِ بنِ مُطيعٍ العَدَوي بالكُوفةِ

تاريخ الرسل والملوك ٦: ١٠
وأنساب الأشراف ٥: ٢٢٠
والكامل في التاريخ ٤: ٢١٢

عَزَلَ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبير عبدَ اللهِ بنَ يزيدَ الخَطْمِيَّ عن الكُوفةِ، واسْتَعْمَلَ عليها عَبدَ اللهِ بنَ مُطيعٍ العَدَويَّ. فلمَّا قَدِمَ صَعِدَ المنبَر، فحمدَ اللهَ وأثْنى عليه، وقالَ:

«أمَّا بعدُ، فإنَّ أميرَ المؤمنينَ عبدَ اللهِ بنَ الزُّبير بَعثَني على مِصْركم وثُغُوركم[١]، وأمرني بجباية فَيْئِكم[٢]، وألاَّ أحْمِلَ فضلَ فَيْئِكم عنكم إلاَّ برضاً منكم، ووصيَّةِ عُمَرَ بنِ الخَّطابِ التي أوْصى بها عندَ وَفاته، وبسيرةِ عثمانَ بنِ عَفَّانَ التي سار بها في المسلمينَ. فَاتَّقُوا اللهَ واسْتَقِيموا ولا تَخْتَلِفُوا، وَخُذُوا على أيدي سُفهائِكم[٣]، وإلاَّ تَفْعَلوا فلوموا أنْفُسَكم ولا تَلومُوني. فوا للهِ لأُوقعنَّ بالسَّقيم العاصي، ولأُقِيمنَّ[٤] دَرْءَ[٥] الأصْعَرِ[٦] المُرْتَابِ» .

---

(١) الثُّغور: جمع ثغر، وهو الموضعُ الذي يكون حداً فاصلاً بينَ بلادِ المسلمينَ والكفَّارِ، وهو مَوْضعُ المخَافةِ من أطراف البلاد.

(٢) الفَيء: ما رَدَّ اللهُ تعالى على أهلِ دينِهِ من أموالِ من خالف دينه بلاقتال، إمَّا بأنْ يُجْلَوا عن أوطانهم ويُخلُّوها للمسلمين، أو يُصَالِحوا على جزيةٍ يؤدُّونها عن رؤوسهم، أو مالٍ غير الجزْية يفتدُونَ به من سَفْكِ دمائهم. والمراد الخراج.

(٣) يقال: أَخَذتُ على يد فلان إذا مَنَعْتَهُ عمَّا يُريدُ أنْ يَفْعَله، كأنك أمْسَكْتَ على يده.

(٤) أقام الميْلَ والعِوَج: أصْلَحه وقوَّمه وعَدَلَهُ.

(٥) الدَّرْء: المَيْلُ.

(٦) الأصْعَرُ: المُعْرِضُ بِوَجْهِهِ كِبْراً.